فن التفسير عند القاضي ثناء الله بانى بتى

☆
دکتورۃعمرانہ شہزادی

Abstract:

"The scholors of subcontinent have contributed significally towards the science of Tafseer, Hadith, Jurisprudance and Arabic literature, during the period of British Impire after the war of Independance in 1857, they devoted their lives for preaching the idology of Islam . They complied a huge number of books for the betterment in social and moral life of Muslims. they presented unique commentry of Holy Quran. In this period Qazi Sanaullah Panni Pati, who was one of eminent scholoer, he served as a Qazi in a well known court of Panni pat India, He was a prolifie writer and he penned more 50 books. Tafseer Mazhari is his great work, he completed it before his demise. The said article shed light on the introduction of Qazi Sanaullah Panni pati and the characteristics of his methodology. Qazi Sanaullah not only followed the foot steps of eminant Mufassireen but strickly followed the principles of tafseer. His tafseer is a amemorable work in commentries of Subcontinent."

Key words: Tafseer, Qazi, Quran, Sanaullah.

لاريب فيه إنّ الاعاجم قد خدموا اللغة العربيّة وعلومها اكثر ممّا خدمها العرب ، انهم لم يكونوا عربا إصالة فقد تعلموا اللغة العربية وحصلوا على مهارة تامّة ثم استطاعوا ان يخدموا خدمات جليلة ويتسجلّوا على صفحات التاريخ علوماً شريفة ومؤلفات رائعة جميلة .

☆ الاستاذة المساعدة بالقلم العربى، بجامعة الكلية الحكومية للبنات، فيصل آباد

لم يتأخر ابناء الإسلام في شبه القارة الهندية عن المشاركة في هذا الموكب العلمى فقد ساهموا مساهمة نشيطة فعّالة فألّفوا ودوّنوا فملاء والمكتبة العلميّة الإسلامية بثروة الثقافة العلميّة مازالت هذه السلسلة الذهبيّة تمتدّ وتتوسّع إلى ان وصل طرفها إلى يد المفسّر العظيم القاضي رحمه الله تعالى وكان الشيخ القاضى من هولاء العلماء الجهابذة يجودبهم الزمان الّا نادراً. كان اسمه الكامل القاضي محمد ثناء الله بانى بتى العثمانى الحنفي المجددي المظهرى. إنّه كان من المحدثين والمفسرين البارزين الّذين نشوا في حضن شبه القارة الخصبة[۱] إنّه كان من ذرّية جلال الدين العثمانى ينتهى نسبه من جهة ابيه باثنتى عشرة واسطة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ومن جهة أمّه باربعين واسطة إلى ابى ايوّب الانصاري رضي الله عنه . ولد في بانى بت في بنجاب الشرقي سنة ۱۱۴۳ھ/۱۷۳۰م في الاسرة الثقافية ، بسبب مولده بانى بت يقال " بانى بتى " ونسبته مظهرى يرجع إلى استاذه مرزا مظهر جانجاناں[۲]

بعد وفاة ابيه ربتّه امّه تربية حسنة ، كان والده عالماً جيّداً في عصره وكان قاضياً فى بلدة بانى بت فى عهد محمد شاهى.[۳]

تلقى القاضى رحمه الله تعالى على عدد كبير من الشيوخ الافاضل في زمنه مثل الشيخ غلام على الدهلوي الشيخ ولى الله بن عبدالرحيم الدهلوى، محمد عابد السنامى الشيخ جانجاناں العلوى المظهرى.[۴]

كان القاضي رحمه الله تعالى زبدة العلماء ومقرب الله تعالى وكان له يد طولى في العلوم العقليّة والنقليّة وكان مجتهدا في الفقه والاصول يحتل مكانة عالية مفسرا وصوفيا وكان شيخه يفتخر عليه بقوله: "إذ سألني الله عن هدية أقدمها إلا جانبه قدّمت ثناء الله "[۵]

ويقول الشيخ غلام على الدهلوى فى سيرته:

> " أنّه كان مع صفاء الذهن ، وجود القريحة ، قوة الفكر سلامة الذهن، بلغ إلى رتبة الاجتهاد في الفقه والاجتهاد والاصول وكان شديد التعبد يصلى كل يوم مائة ركعة، عالم ثقة، اسوة كاملة في العلم والعمل، امتزاج الحسن في الجلال والجمال مزيّن باخلاق الكريمة كان يتبع رسول اللهﷺ فى كل امر شؤون الحياة العامة"[۶]

توجد الكمالات الجملة فيشخصيةالقاضي ثناء الله بانى بتى مثل، الامانة

والديانة والصلاح والتقوي، الطبيعة السليمة يشغل ابداً في قضاء حاجات مخلوق الله تعالى، وأنّه كان مضيفاً مكرمّاً .

أنّه كان يتولى منصب القضاء في بانى بت وله اهمية خاصة في حياته وكان عدالته في قصر بانى بت في قرب مسجد كابل شاه[۷]له عدّة مؤلفات منها: التفسير المظهرى، حليه شريفة، الفتاوى المظهرية، السيف المسلول، ارشاد الطالبين، تفسير پنج آية بطريقة صوفية، تقديس والدى مصطفى، تذكرة الموتى والقبور، تذكرة المعاد، تذكرة العلم والمعارف ، وصيت نامه .

مات فى غرّه رجب سنة خمس وعشرين ومائتين والف من الهجرة بمطابق ۱۲ اغسطس ۱۸۱۰ في بانى بت .

قبل ان ننظر إلى منهجه في التفسير ينبغي لنا ان ندرس مختلف المظاهر لتلك البيئة الّتي ضمّته في تفسيره يحيط عصر القاضي ثمانين سنة تقريباً وكان هذا العصر الضوضي والنزاع الشديد في تاريخ الهند، بعد وفاة شاه رنكيلا بدأت الحكومة الانكليزية على الهند كلها سوى بنجاب وبعض الجزائر عاش فى اضطراب سياسى وكان مرهته ابر ز العناصر و اخطرها فى عصر القاضى و احتلت جيوش المرهته على بانى بت و تشن الغارات في هذه المنطقة[۸]وكتب مرزا مظهر جانجاناں في احد رسائله إلى قاضي ثناء الله بانى بتى .

"إنّي أخاف على غارة المرهته وراء كنكا واريدان اذهب إلى بانى بت"[۹]

وكان سيخ بنجاب عنصراً مهتماً في سياسة في عصر القاضي بعد وقت قليل تغيرت تحريكهم المذهبي إلى تحريک سياسي يتوجّه احمد شاه ابدالى لتأديب السيخ ، وكانت قيام الحكومة الانكليزية امراً مهما في عصره وزادت قوتهم رويداً وهكذا بدأت عبوديّة الهند والانحطاط السياسى تسبب الرذائل الاجتماعية فلذا اعتنى القاضى رحمه الله تعالى باصلاح المجتمع، بسبب الفساد العلمى والاخلاقي انتشرت في المجتمع ضعف العقيدة، التوهم، عبارة القبور، عقد الإعراس واستولى على اذهان الناس ضعف الاعتقاد موضع اليقين والرسوخ في الإيمان. في هذه الحالة جمع المجدد الف ثانى والشاه ولى المحدث الدهلوى والقاضي ثناء الله بانى بتى استعدادهم الذهنى والعلمى للقضاء على الفواحش الاجتماعية. كان عصر القاضي مظلماً بنسبة الحضارة السياسية ولكن منوراً بنسبة العلم والحركة. ولد المجددون والرواد في هذا العصر[۱۰]

مثل شاه ولی الله، عبدالجلیل بللکرامی، مرتضي الزبیدی، نظام الدین السهالوی فلذلک اصرّ القاضي علی الجهاد في تفسیره لأنّه کان معالجة وحیدة في مغلوبیّة وانحطاط المسلمین.(۱۱)

سبب تألیف التفسیر المظهری:

في عصر القاضی کان تفسیر ملّا جیون وتفسیر المهائمی یتداولان في شبه القارة، کتب تفسیر المهائمی في اسلوب تفسیر الجلالین لا یوجد فیه المباحث العلمیة إلاّ قلیلاً وکانت فقدت تفسیر منبع نقائس العیون من العالم العلمی والتفسیرات الاحمدیّة یشمل علی خمسمائة الآیات الفقهیة واکثر التفاسیر الفت في عصره کانت للشوافع وکان التفسیر البیضاوی داخلاً في مقرر المدارس ولکن بلغ ایجازه إلی حد الرمز والکتابة ولم تتضح وجهة نظر الاحناف لکون مصنفه شافعیا وکان اکثر سکان الهند کانوا من الاحناف وهذا الامر یشوش الطلبة خلال المطالعة فلذا احس القاضی رحمه الله تعالی حاجة ماسة للتفسیر الّذي یوجد فیه شرح الالفاظ ومعانیها وتبین فیه الاحکام العقائد فصنّف القاضي رحمه الله تعالی تفسیره في عشرة مجلّدات یأتی هذا التفسیر بعد تفسیر ملا جیون ولکن یفضل علی جمیع التفاسیر بسبب منهجه واسلوبه ومیزاته ویحتل مکانة مرموقة في اللغة العربیة لکونه محتویا اکثر من اربعة الآف صفحة وعشر مجلّدات ، مکانته المفسّر في العلم والحدیث والفقه والتصوف وخبرته في الأدب العربي اعطت التفسیر درجة ممتازة.(۱۲)

یعرف هذا التفسیر ب "التفسیر المظهری" ویسمیه المفسّر باسم استاذه المحترم الفاضل مرزا مظهر جانجاناں وبدء المفسر تألیفه بعد شهادة مرزا مظهر جانجاناں ۱۰ محرم الحرام ۱۱۹۵ هـ ینایر ۱۷۸۲ وقد فرغ منه تألیفه فی ۲۷ جمادی الأوّل ۱۲۰۸هـ /۳۱ دسمبر ۱۷۹۳م بدأ هذا العمل الجلیل من سورة الفتح اوّلاً دون سورة الفاتحة وختم تفسیره علی سورة محمد دون سوره الناس ویقول بنفسه عن هذا الطریق:

"وقد اتفق ختم تفسیر المظهری بختم سورة محمد ختم الرسل محمدﷺ والمسؤل من الله عزوجل ان یجعل ختمی علی خیر ما ختم به خیار امّة محمد ﷺ "(۱۳)

وکتب المؤلف فی انتهاء کل مجلد تاریخ تکمیله ولا یوجد تاریخ الانتهاء

في المجلد التاسع والعاشر .

مرّ هذا التفسير من مراحل الطباعة العديدة .اوّلاً سعى المحترم ركن الدين بن محمد معز الدين القادري الحصاري لطباعته شاعت المجلد الأوّل (من سورة الفاتحة إلى البقرة) في سنة ۱۲۷۳/۱۸۵۵ ، والمجلد الثاني (من سورة آل عمران إلى سورة النساء) في سنة ۱۲۷۴/۱۸۵۶ ، ثم شاع منشى حافظ عبدالرحمن جزأ يشتمل حزً بانصفاً ، ثم طبع المجلد الثالث (من المائدة إلى التوبة) السيد محمد ياسين ميرٹهى بتعاون مولوى عاشق من مدينة ميرٹه ثم شاع ابنه الصالح جميل الدين، المجلد الرابع (من يونس إلى الانبياء) من مطبع حمايت الإسلام في سنة ۱۳۱۳هـ /۱۹۴۲م، ثمّ طباعته مكتبة دار المصنفين دهلى بتعاون الشيخ محمد اسماعيل جيون بخش في باكستان طبع هذا التفسير في إقليم بلوتشتان، تحمل نفقاته الشيخ فياض محمد كواشى وعبدالرحمن خانزئى وترجم إلى اللغة الاردية عبدالدائم الجلال، وطبع من دهلى وكراتشى ويكتب عليه الحواشى العديدة.

طريقته في التفسير:

لم يذكر المفسر طريقه كما هو معروف عند المفسرين ولكن خلال دراستى عند ما رجعت إلى هذا التفسير وقرأت فيه ما شأ الله ان اقرء، تتجلى علّى طريقه، بكل وضوح الّذي اتخذّ لتفسيره وبيان معانيه فى الصفحات الآتية اوضح اسلوبه ومنهجه التفسيري واضحةً بين يديكم الّذي وجدت منهجه تفسير القرآن بالقرآن منهج فريد متميز عن باقي كتب التفاسير، سلک فيه الّذي ينبئ عن مدى تفكيره. أنّه يذكر الآية ثمّ يفسرها بعبارة سهلة عذوبة مؤجزة وإن أمكن توضيح الآية بآية الاخرى ذكرها .وقارن بين الآيتين حتى يتبيّن المعنى ويظهر المراد . وهو شديد العناية بهذا النوع من التفسير الّذي يسمونه المفسرون تفسير القرآن بالقرآن. ففي الفاتحة مثلاً فسّر من قوله تعالى ﴿غير المغضوب عليهم والضآلين﴾ بقوله: ﴿غضب الله عليه﴾ وقوله تعالى ﴿فماذا بعد الحق الّا الضلال ﴾ وقال: ﴿ الّذين ضلّ سعيهم فى الحيوة الدنيا ﴾ (۱۴)

وهناک الامثلة الكثيرة في تفسيره تفسير القرآن بالقرآن ولا يمكن في هذا المقالة الموجزة ان اذكر كل الامثلة .

اصح طرق التفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن هو تفسيره بالحديث. والمؤلف هنا ياخذ بهذا النوع من التفسير ويورده كثيراً في تفسيره فمن ذلک

تفسیره لقوله تعالی: ﴿ غیر المغضوب علیهم والضآلین ﴾ قال: عن عدی بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ إنّ المغضوب علیهم ، الیهود وان الضالین النصاری.(۱۵)
فمن ذلک تفسیره لقوله تعالی:

﴿ ... فی السموات والارض کلّ له قانتون﴾

قال: اصل القنوات القیام ، وقال علیه الصلوة والسّلام افضل الصلاة طول القنوات، عن ابی سعید الخدری عن النبي ﷺ کل حرف من القرآن یذکر فیه القنوت فهو الطاعة(۱۶)

وفي تفسیر للآیة ۳۹ من سورة آل عمران ﴿ قل اطیعوا الله والرّسول ...﴾ یعنی ان اطاعة الله والرسول واحد ... قال رسول الله ﷺ کل امتی یدخلون الجنة الّا من ابی قالوا ... ومن یأبي یا رسول الله ؟ قال من اطاعنی دخل الجنة ومن عصانی فقد ابی ... وقال رسول الله ﷺ من اطاع محمد فقد اطاع الله ...(۱۷)

وقد ذکر المؤلف رحمه الله تعالی کثیراً اقوال العلماء والأئمة وفرمودات المجدد الف ثانی رحمه الله تعالی ، ففی تفسیره قوله تعالی ﴿ فأما الّذین في قلوبهم زیغ ﴾ قال القاضي رحمه الله تعالی : عن ابن عباس في قوله تعالی ﴿ فأما الّذین في قلوبهم زیغ ﴾ أن رهطاً من الیهود ، وهم حي بن اخطب وکعب بن اشرف ... وقال الکلبی هم الیهود... وقال ابن جریح هم المنافقون، وقال الحسن: وهم الخوارج.(۱۸)

وفي تفسیره قوله تعالی: ﴿ کدأب آل فرعون ﴾ قال أبو عبیدة معناه کسنة آل فرعون وقال الاخفش کأمر آل فرعون ، ففي تفسیره قوله تعالی ﴿ من النساء والبنین والقناطیر ﴾ قال القاضي رحمه الله تعالی قال: ابن عباس المراد بالقناطیر الف ومائتا مثقال أو اثنا عشر الف درهم أو الف دینار، وقال سعید بن جبیر وعکرمه هو الف ومأته من ومأته رطلٍ ومأئة مثقال ومائة درهم. وعن السدی: اربعة آلاف مثقال وقال الحکم: "القنطار" ما بین السماء والأرض، وعن انس رضي الله عن النبي ﷺ القنطار الف اوقیّة .(۱۹)

ویذکر القاضي رحمه الله تعالی اقوال المجدد الف ثانی فی تفسیر قوله تعالی من الآیة ۱۹۲ من سورة آل عمران: ﴿ ویتفکّرون في خلق السموات والارض...﴾ قال المجدد رضي الله عنه العلم الحضوری ایضاً ساقط من تلک المرتبة العلیا لأن جولانه إلی نفس العالم وما هو عینه یعنی ای مرتبة العینیة والآتی، وذلک کفر الحقیقة والله سبحانه وتعالی اقرب الینا من انفسنا فهو سبحانه وراء الوراء ثم وراء

الوراء ثم وراء الوراء في جانب القرب لافی جانب البعد فلا سبیل للعلم الحضوري للصوفي المتعلق بحضرة الذات وراء العلمین لا یدری ما هو ولا یجوز اطلاق التفکر علیه الامجازا کما اطلق علیه بعض الصوفیة.[۲۰]

في تفسیره الامثلة لتفسیر الصحابة رضوان الله علیهم اجمعین التابعین الکرام وتبع التابعین وآراء العلماء والمفسّرون الّتی اوردها المؤلف رحمه الله تعالی في تفسیره والمطلع علی تفسیره یدرک بحق اهتمامه رحمه الله تعالی بتحری تفسیر الصحابة .[۲۱]

ولم یخل تفسیر القاضي من ذکر بعض القصص الإسرائیلی الغریب، ولکن انه مقلّ في سرد الاسرائیلیات ویتعقب کثیراً من هذه الروایات بالنقد المزعج مثل ذکر قصه هاروت وماروت في تفسیره اجمالاً وعند تفسیره لقوله تعالی في الآیة ۱۰۲ من سورة البقرة ﴿واتبعوا الشیطین علی ملک سلیمان ...ولکن الشیطین کفروا یعلمون النّاس السحر وما انزل علی الملکین ببابل هاروت وماروت...﴾ نراه یقص لنا قصة غریبة عن هاروت وماروت عن البغوی وعن ابن عباس وعن الکلبی ... ثم بعد ان یفرغ من هذا القول:

"وهذه القصة من اخبار الآحاد بل من الروایات الضعیفة الشاذة ولا دلالة علیها في القرآن بشئ وفي بعض روایات هذه القصة ما یأباه النقل والعقل... أئمة انتقل لم یصحوا لهذه القصة ولا اثبتوا روایتها عن علی رضی الله عنه، ولا عن ابن عباس رضی الله عنه، قال القاضي رحمه الله تعالی ان هذه الاخبار لم یرو منها شیئ صحیح ولا سقیم عن النبي ﷺ وقال هذا الاخبار من کعب الیهود وافتراء هم.

وعلی هذا القیاس ینقد القاضي رحمه الله تعالی عمل داؤد علیه السلام فی قتل اوریان بالخدعة ونکاح زوجته فهو کذب مفتری حاشاه عن ذلک...[۲۲]

نجده ان الامور لا تعني ولا یفید القاضي رحمه الله تعالی مقلّ جدّاً عن الإسرائیلیات یذکر تفسیره بالإیجاز والاختصار ومثل هذا العمل المذکور نجد في مواضع عدیدة ویذکر رأیة الخاصة فیهم یقول: بهذه الکلمات ، قال القاضي: وقلت: یذکر الاقوال المختلفة فیه ثم یقدم دلیله علی هذه[۲۳] وقد ذکر المؤلف في تفسیره التأویلات الصوفیة والشطحات والمواجید والإشارات والاصطلاحات بکثرة کان القاضي رحمه الله صوفیا کبیرا کما نراه فی تاویله الإشاري یمثل الفلسفة الصوفیة باعلی انواعها ، مثل فی تفسیره لقوله تعالی:

﴿ کلو ممّا رزقکم الله حللا طیّباً واتقوا الله الّذي انتم به مؤمنون ﴾

وضع المؤلف في تفسیره المراتب یمرّ بها السالک وذلک عند تفسیره لقوله تعالی:

﴿ لیس علی الّذین امنوا وعملوا الصلحت جناح فیها طعموا اذا ما اتّقوا وامنوا وعملوا الصلحت ثم اتّقوا وامنوا ثم اتّقوا واحسنوا والله یحب المحسنین ﴾

فسّر لقوله تعالی فی الآیة ۱۰۳ من سورة البقرة ۹۳۰ واتبعوا الشیطین علی ملک سلیمان ...انفسهم لو کانوا یعلمون ﴾

والمختار عندی ان العلم علم یتعلق بظاهر القلب وذلک لا یتتبع العمل ومنه علم الیهود ویعرفونه کما یعرفون ابناء هم لا یجدیهم معرفتهم شیئاً کمثل الحمار یحمل اسفاراً وعلم وهن یتخلص إلی صمیم القلب بعد انجلائه وإلی النفس بعد اطمینانه وهو المعنی فی قوله تعالی :

﴿ انما یخشی الله من عباده العلماء ﴾

وقوله علیه الصلاة والسلام العلماء ورثة الانبیاء. یذکر الابیات للاستشهاد ومن التفاسیر السابقة فی زمن الصوفي.[۳۴] یوجد الارتباط بین العقل والنقل في التأویلات الّتي یذکر القاضی رحمه الله تعالی في تفسیره مثل قول الله تعالی فی الآیة ۳۱ من سورة البقرة ﴿ وعلم آدم الأسماء کلّها ﴾ قلت المراد ان الله تعالی علم آدم الاسماء کلّها اجمالیا فانه لما حصل له معیة بالذات تعالت وتقدست حصل له بکل لم من اسمائه وصفة صفاته مناسبة تامة وهبة بحیث انه کلما توجه الی اسم من اسمائه وصفة من صفاته کما أنّه اذا حصل لرجل ملکة في علم من العلوم کان بحیث کلما یتوجه إلی مسئلة من مسائله یحضر تلک المسئلة.[۳۵]

ان المفسر لم یذکر فی تفسیره ان تفسیره الوحید الّتي کتبت علی منهج الصوفیة بل یذکر فیه النکات المتصوفات مروی من العلماء الظاهر السابقة مثل یقول فی تفسیر الآیة ۱۶ من سورة ق ﴿ ... نحن اقرب الیه من حبل الورید ...﴾

اختلف علماء في تصویر هذه القربة قال البیضاوي حضاه نحن اعلم بحاله ممن کان اقرب إلیه من حبل الورید ....وحبل الورید مثل یضرب للکمال القرب یقال الموت ادنی لی من الورید . قال البغوی معناه نحن اعلم به منه وقالت الصوفیة بل الله سبحانه وتعالی اقرب إلی المخلوقات من انفسها قربا ذاتیا ولامکانیا ولا متکفیا اصلاً وفي تفسیره عند ما یوضح آراء ہ الصوفي یبدء بکلمات عدیدة مثل:

قلت، یحتمل، ان یراد، و لعل.

هکذا نجد مباحثة الصوفیة فی مسئلة هیوط الله تعالی من الغمام .وقوله في الآیة ۶۱ من سورة المؤمنون ﴿ اولئک یسارعون فی الخیرات ﴾ قلت ، لعل المراد بالخیرات الّتي یسارع الیها المؤمنون فی الدنیا .هو الاطمینان بذکر الله تعالی. والالتذاذ به والشبع بالکفاف وعدم الخوف من زوال نعماء الدنیا وعدم الخوف والرجاء عن احد سوی الله تعالی والمبشرات الّتي یدرک بالالهام والمنام .(۲۶)

خلال دراستی هذا التفسیر وجدت ان المفسّر یذکر اسباب النزول لتفهیم سیاق الآیات مثل قوله فی الآیة ۲۶ من سورة البقرة ﴿ إنّ الله لا یستحی ان یضرب مثلاً ما بعوضة﴾ یذکر فیه روایات مختلفة فی اسباب النزول هذه الآیة مثل لقاء الیهود عمر بن الخطاب وقوله انّ جبریل الّذي یذکر صاحبکم عدوا لنا ویذکر جواب عمر رضي الله عنه، حق کان عدو الله وملائکته ورسله وجبریل ومیکائیل فإنّ الله عدوّه. وایضاً یذکر روایة اخری حین سال الیهودی النبي ﷺ عن بعض الاشیاء.

عند ما یجد المفسر اختلاف الروایات فی اسباب النزول یسعی ان للتطبیق بینهما مثل نجد تطبیقه فی الآیة ۹۷ سورة البقرة .

قلت ولعلّ القصتین وقعتاها قبل نزول الآیة

کذلک نجد في هذا التفسیر یعنی جدّاً العنایة بالناحیة الفقهیة عند ما یتکلم عن آیة من آیات الأحکام استطرد إلی مذهب الفقهاء وهو ینتصر لمذهب الحنفي مثلاً عند تفسیره لقوله تعالی فی الآیة ۲۲۶ من سورة البقرة ﴿ للذین یؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاء وا فإنّ الله غفور رحیم ﴾

نراه أنه ینتصر لمذهبه الحنفی ویرد مراراً اقوال ابی حنیفة رحمه الله تعالی(۲۷)

مثل عند تفسیره لقوله تعالی : فی الآیة ۲۲۸ من سورة البقرة ﴿والمطلقات یتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ یعرض لمذهب الحنفي ومذهب الشافعی فیما تنقضی به عدّة الحائض .

وعند تفسیره لقوله تعالی في الآیة ۲۲۹ من سورة البقرة ﴿ فإن خفتم الاّ یقیما حدود الله فلا جناح علیهما فیما افتدت به ...)

نجد فی تفسیر هذه الآیة یذکر اختلفوا فی ان الخلع هل هو طلاق أو فسخ... ویذکر رأی ابی حنیفه و امام مالک وامام شافعی ویذکر رأیة الخاصة .

"قلت وهذا مبنی علی اصل ابی حنیفة ان العالم قطعی الدلالة فی الشمول

لا یجوز تخصیصة بخیر الآحاد ولو قلنا بجواز التخصیص بخیر الآحاد لقلنا ان حکم الآیة مخصوص بمقدار الصداق وما دون ذلک بتلک الاحادیث واللہ اعلم .[۲۸]

خلال دراستی هذا التفسیر نلاحظ ان المفسر رحمة اللہ تعالی تتبع في تفسیره المسلک المالکی ویرجع في بعض المقامات المسلک الحنبلي عند الأئمة الثلاثة حدّ الزنا معینة ونجد تصدیقه، في الأحادیث وموفق الامام احمد بن حنبل یوافق الآیة القرآنیة بالجملة ان القاضي رحمه اللہ تعالی اعتنی المسالک الاربعة في تفسیره بالعنایة جدّا، ویرجع في بعض المسائل قیاس الشوافع علی قیاس الاحناف مثل في موجبات الغسل وفی الیمین اللغو، طریقة طهارة الاعضاء البعض، وفی مسئلة التیمم ینتصر المسلک الحنفی ثم رأیة الخاصة هکذا نجد في تفسیره بمواضع کثیرة .

وسعیه فی الاجتهاد فی تفسیره تدل علی بصیرة القاضي وصلاحیته التخلیقیة ویظهر منه إن الاجتهاد یوجد في الهند وهذه الامثلة تنوّر الصراط الصحیحة للعلماء والفقهاء فی العصر القادم، قد اصناف المفسر علی اجتهاد والفقهاء الکبار اضافة مفیدة بوسعة العلمی وبصیرته الجلیلة. وهو یوافق مقتضیات العصر الحدیث. یقول في حد النکاح بالمحرمات و ینقل قول سفیان ثوري وامام ابو حنیفة و زفر بن یذیل فی العقوبة البلیغة الشدیدة لرجل المذکور ثم یقول بنفسه.

" قلت والأولی ان یقال فیه القتل اتباعا بالحدیث وفی مسئلة المحارم روی عن جابر انه یضرب عنقه و کذا نقل عن احمد واسحاق واهل الظاهر وقصر ابن حزم قتله علی اذ ما کانت المرء ة إمرأة ابیه قصر للحدّ علی مورده.[۲۹]

وهکذا یتفق القاضي رحمه اللہ تعالی علی حدّ السحر: أن السحر یکون له حدّ وحدّه یکون القتل[۳۰] یرید القاضي رحمه اللہ تعالی ان یوافق الفقه الحنفی بالعصر الجدید، وهکذا هناک الامثلة مسئلة الشهادة العادلة، واختلاف بناء المقابر علی ضریح الاولیاء، یورد اقوال الفقهاء فیه ویرجح منه واحد أو یقول فیه مثل یقول في استدلال علی اختلاف بناء المقابر علی ضریح الاولیاء "قلت هذه الاحادیث تدل علی کراهیة تخصیص القبور والبناء علیها وجعل القبور مشرفة ولا دلالة لها کراهة بنا المسجد بقرب منها ومعنی اتخذ واقبور انبیاء هم مساجداً انهم یسجدون إلی القبور کما هو صریح فی حدیث ابی مرثد الغنوی .[۳۱]

ویوضح موقفه فی مذهب الهنود فی الهند ویبین ان الهنود یغیروا مثل اهل

الکتاب . نجد أنه یخوض في المسائل الکلامیة فیذکر مذهب اهل السنة ومذاهب غیرهم مع ذکره لأدلة کل مذهب وانتصاره لمذهب اهل السنة وما بیده له ورد ما یرد علیه من جانب المخالفین ومهما یکتب المفسر فی علم الکلام یذکر معه مصادره استفاد القاضي رحمه الله تعالی في هذا المجال عقائد امام ابو منصور الماتریدی ، اما أبو الحسن الأشعری ، امام الحرمین الجوینی،[۳۲] حجة الإسلام ابو حامد الغزالی،[۳۳] جلال الدین الدورنی،[۳۴] الحلیمی،[۳۵] الطحاوی و تفتازانی[۳۶] فی علم الکلام اعتقد القاضي رحمه الله تعالی مسلکه المختارة أی اهل السنة أنه یطابق بالقرآن والحدیث واجماع الامة یقدم فی هذا الضمن حدیث، ''ما أنا علیه واصحابی''[۳۷]

اختار القاضی رحمه الله تعالی للتفسیر العقائد والتصورات الّتي یتعلق العقائد الابتدائیة مثل: عقائد التوحید الذاتی، والتوحید الصفاتی، صفات اسماء الهیه[۳۸] والرسالة المصطفوی وما یتعلق بها[۳۹]وحیاة ما بعد الممات[۴۰] والحیاة البرزخیه،[۴۱] والتقدیر[۴۲] و عظمة الصحابة[۴۳] ونجد في تفسیره تردید المسالک الباطلة وعقائدهم لدفاع عقائد وتصورات مسلکه تقوم هذا الکلام علی تقابل الادیان. یرد نظریة العدل في مسلک المعتزلة وعقائد المعتزلة فی وعده وعیده ومسئلة امر بالمعروف ونهی عن المنکر هکذا تردید مسئلة الشفاعة وسؤال منکر نکیر.[۴۴]

کان ظهور الخوارج بسبب السیاسة ولکن بعد ذلک صارت الفرقة المذهبیة یوجد في التفسیر المظهری تردید لآراء خوارج فی مسئلة الشفاعة[۴۵]و مسئلة الخلافة[۴۶]و عظمة الصحابة[۴۷] انتشرت مذهب التشیع فی الهند فی عصر القاضي فلذا اهتم لتردید المعتقدات اهتماما شدیداً مثل عقیدتهم الإیمان بالأئمة، وعظمة الصحابة، ومسئلة الخلافة وفضیلة ابی بکر، وفرقه جبریه قدظهرت فی الاسلام من اوائله بذل جهوده فی تردید وابطال افکار هذه الفرقة اختلف اهل السنة معهم في مسئلة النقدیة نجد تردید هذه الفرقة فی سورة یونس الآیة ۴۴ یقول القاضي فالآیة دلیل علی ان العبد له کسب وانه لیس مسلوب الاختیار بالکلیة کما زعمت الجبریة.[۴۸]

نجد فی المباحث التقدیریة نردید فرقه قدریة یقول القاضي فی توضیح اهل السنة ان الانسان لا مطلقا ولا مختار مطلقا بل هو حر في بعض المعاملات

والمقید بعضها .(۴۹)

هکذا نجد ترديد افكار فرقة مرجئة مثل يقول في تفسير سورة الزمر "اما استدلال المرجئة بهذا الاحاديث على ان المعاصي صغائر او كبائر لا يقتر مع الايمان كما ان الطاعة لا ينفع مع الكفر فباطل مستلزم لإنكار الحديث الواردة في المناهي.

في رأي القاضي ان علوم الفلسفة والحكمة لا ينفعها فى الآخرة ويستعمل القاضي رحمه الله تعالى لمعتقدين الفلسفة الالفاظ الخشنة. ويقول فيه.

"والحق ان قول الفلاسفة باطل بالكتاب والسنة والاجماع، يظهر منه ان المفسر الفاضل له مطالعة عميقة فى علوم الفلسفة والحكمة والهيئة وهو يكره ان يفسّر القرآن بالاستمداد هذه العلوم .(۵۰)

كذلک نجد ان القاضي رحمه الله تعالى يرجع إلى شواهد من الشعر القديم بشكل واسع متبعاً وفى تفسيره يورد اشعار اللغة العربية والفارسية المنتخبة ويراد به ان يقدم شواهد لمفهوم المعانى واللفظي ايضاً وهذا دال على سعة علمه وذوقه الشعرية والأدبية: مثل يأتى الأشعار لتوضيح الآية ﴿ لا تحزن إنّ الله معنا ﴾ لابى بكر صديق رضى الله عنه خليفة النبي ﷺ .

اقسمت بالقمر المنشق انه له من قلبه نسبة من الكفار عنه(۵۱)
فالصدق في الغار والصديق لم ير ما وهم يقولون مايا لغار من ارم

وايضاً ياتى اشعار حسان بن ثابت:

وثانى اثنين في الغار المنيف قد طاف العدو اذ صاعدو ا الجبلا(۵۲)

ويذكر رجز النبى ﷺ أنشده يوم الحنين الجبلا .

أنا النبى لا كذب انا ابن عبدالمطلب(۵۳)

علم قرأت له اثر بارز فى تفسير القرآن وتوجيه المعانى القرآنية المفسر الجليل يذكر القراء ات وبهذا نعرف المعلومات الهامة لعلوم القراء ات. فمثل عند قوله تعالى فى الآية ۱ من سورة يسّ. ﴿يسّ يقول فيه ، قرأ حمزه وابوبكر بأمالة الفتح ...وورش وابوبكر وابن عامر والكسائى يدغمون نون الهجاء في الواؤ ويبقون الغنة فمثلاً عند قوله فى الآية ۱۷ من سورة الرمز ﴿ والّذين اجتنبوا الطاغوت ...﴾ يقول فيه قرأ ابو شعيب بياء مفتوحة وصلا ساكنة وقفاً .فمثلاً عند قوله تعالى فى الآية ۲۹ من صورة فصّلت: ﴿ وقال الّذين كفروا ربنا ارنا الّذين اضلّنا من الجن والإنس ﴾

.... قراء ابن عامر وابن كثير ويعقوب وابوبكر بالتخفيف اى بسكون الراء ...وقرأ الدورى باختلاس كسرة الراء والباقون باشباعها .(۵۴)

فمثلاً عند قوله تعالى فى الآية ۳۵ من سورة الشورى ﴿ويعلم الّذين يجادلون فى ايتنا﴾

قرأ نافع وابن عمر بالرفع على استيناف والباقون عطفاً على علة مقدره...(۵۵)

وايضاً نجد في تفسير معلومات هامّة فى علم التجويد مثل قوله فى تفسير سورة الفاتحة ذكر اشمام روم ، اظهار ، يقول القاضي رحمه الله تعالى في توضيحه.

"والاشمام عبارة عن ضمّ الشفتين كقبلة المحبوب إشارة إلى الضمّة والروم عبارة عن الإخفاء والتلفظ ...والله اعلم (۵۶)

هكذا في سورة البقرة في الآية التالية ﴿يقميون الصلوة﴾ تجد قوله فى كيفية الهجائية وقراء لها

....قال ورش بتغليظ الام إذا تحرک بالفتح بعد الصاد، أو الطاء والظاء، نحو الصلوة، ومصلّى وأظلم والطّلاق، ومعطّلة وبطل ونحو ذلک وقرء الباقون بالترقيق الاّ فى لفظه خاصّة إذا انفخ او انضمّ ما قبله فيخمونه اجمعون .(۵۷)

ويذكر القاضي رحمه الله تعالى القصص في تفسيره بالاسناد والرواية ومنهجه جامع للتبويب والتبيين لوقائع الحقائق والتاريخ ويسعى ان ينبعث صلاحية الفهم فى التاريخ مثل قصه تخليق آدم وقصه نوح وآدم، وقصة ابراهيم عليه السلام ويذكر رأيه الخاصة فى توضيح القصص و شرحها وهذا العمل تدل على تبحر العلمى وفهم فى الدين، يظهر منها اثباته فى عصمة الانبياء وفهمه فى التخالف والتضاد فى الافكار القرآنية، واختار الطريق المحققة لتوضيحاتهن ويردّ آراء المفسرين السابقين فى طوفان نوح .

مثل ذكر شجرة ممنوعة في القرآن، تأثرت منه، عصمة آدم ويقول فى توجيهه ﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظلمين﴾ أو فعله بسبب خطاء فى اجتهاده حيث ظنّ النهى للتزهية او الاشارة إلى النوع وانما جرى عليه ما جرى طريق الشبيه المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجهل فى هذه العبارة يسعى أن يسلم عصمته.

هكذا ينقل بعض المفسرين في تفاسيرهم الاقتداء الكذبه من اساطير اليهود يردّ القاضي هذه القصص، يثبت بطلانه، مثل قصة عوج بن عنق ولا يؤيد

هولاء الاساطير الّتي تورد في كتب التفاسير السابقة يقول القاضي رحمه الله تعالى فيه:

"يقول وقصة عوج بن عنق ذلک يخالف ظاهر النصوص حيث قال الله تعالى قال نوح ربّ لا تذر على الارض من الكفرين ديّاراً، وقال: قيل، بعداً للقوم الظالمين وقال: لا عاصم اليوم من امر الله إلّا من رحيم: فتخصيص عوج من العمومات القاطعة لا يجوز الاّ بقاطع ولم يوجد القصة.(۵۸)

عند ما يفسّر القاضي الآية الّذي يتعلق برسول الله ﷺ يظهر انّه يفسّر سيرة رسول الله ﷺ بمحبّة واحترام يقدم في خدمة رسول الله ﷺ العبارة المزينّة والمرصعة(۵۹)تجد فى تفسير واقعات سيرة النبي بترتيب الزمانى مثل يذكر العهد الجاهلى،(۶۰) ولادة النبي ﷺ (۶۱)طهر والد رسول الله ﷺ(۶۲)

ويذكر الاشعار فى فضيلة الرسول ﷺ ورضاعة النبي ﷺ حضاتته،(۶۳) و بعثة النبى ﷺ(۶۴)واخلاق النبي موضوع هام نجده فى تفسيره ولما نجد التفصيل على هذا المنهج في التفاسير الاخرى وهذا تدل ان بصيرة القاضي رحمه الله تعالى في التاريخ عميقة ويذكر الباحث مدّلاً نجد حاجة التفسير الاخرى بعده ولا كتب السيرة بعده.

يذكر فى تفسيره فضائل السورة مثل يذكر فضيلة سورة الفاتحة. عن ابى هريرة رضى الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ والّذي نفسى يده: ما انزل فى التوراة ولا في الانجيل ولا فى الزبور ولا في القرآن مثلها .(۶۶)

وايضاً يذكر فضيلة سورة البقرة "عن ابى مسعود رضى الله عنه قال، قال: النبى ﷺ الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه، ويذكر فى فضيلة آل عمران: عن عثمان بن عفان من قرء آخر آل عمران فى ليلة كتب له قيام ليلة.(۶۷) وفى فضائل سوره الكهف:

عن ابى الدرداء عن النبى ﷺ قال: من حفظ عشر آيات من اوّل سورة الكهف عصم من فتنة الدجال.(۶۸)

هناک الامثلة الكثيرة فى فضائل سورة القرآن خلال دراسة نجد فهو خلاصة كل ما سبق من التفاسير مثل تفسير ابن حيان، وتفسير الكشاف، وتفسير البيضاوى وتفسير الفخر الرازى والطبرى و تفسير ابن كثير، تفسير معالم التنزيل للبغوى و احكام القرآن للجصاص الرازى، وتفسير مدارک التنزيل نسخفى وهواذ

ینقل عن هذه التفاسیر ینصب حکما عدلا بینها ویجعل من نفسه نقادا مدققا ثم یبدي رأیه حرّاً فیها والتفاسیر الّتي کتبت بعد المظهری سلک سلکه فی فن التفاسیر ومنهم هذین تفسیرین تفسیر ضیاء القرآن لمحمد کرم شاه الازهری.

قد اعتمد القاضی رحمه الله تعالی فی تالیف تفسیره علی التفاسیر المتداولة الشهیرة ومصادر علم الحدیث و روایة الحدیث مصادر درایة الحدیث ونقد الرواة، ومصادر اللغة والاشتقاق، مصادر علوم القراء ة والتجوید مصادر الفقه، مصادر التاریخ والسیرة والمغازي مصادر التصوف والسلوک، مصادر الفلسفة وعلم الکلام قد اعترف العلماء التبحر العلمی للقاضی ثناء الله بانی بتی فی تفسیره باقوالهم عدیدة، یقول الشاه غلام علی الدهلوی فی تفسیره یکتب تفسیر جامعاً لإراء العلماء المفسرین القدامی والجدد ومع هذا عبّر عن العواطف والاخیلة الّتي الهمها الله علی قلبه و[۶۹] في التفسیر المظهری ،أنه صنف تفسیراً بسوطاً یدل علی سعة علمه ویوجد فیه النوادر.[۷۰]

بعد دراسة التفسیر تبیّن لی ان القاضي رحمه الله تعالی الباع الطویل فی الفقه والتصوف وعلم التفسیر هذا هو واسطة العقد والنموذج المختار لمقدرة قاضی رحمه الله تعالی عن اللغة العربیة وکما یراعی دائماً ان یخرج التطبیق بین القواعد تتعلق بالقرأت أو المسائل الفقهیة او الصوفیة، وهذا التفسیر سهل المأخذ ممتع العبارة لیس بالطویل ولا بالقصیر وأنه کان کثیر العنایة بسبک العبارة وظهر تفسیره الصوفي الملئ باصطلات ورموز وإشارات الصوفیة والحق القاضي رحمه الله تعالی أحسن فی هذا التفسیر وابدع حتی صار صیته، کل مطار وصار اصدق مشاهد لمولفه بامامته بالعربیة من النواحی العلمیة المختلفة .

فهرس الهوامش والمصادر

۱. عبدالحي الکهنوی الحسنی، نزهة الخواطر وبهجة السامع والنواظر مکتبة دار عرفات، رائے بریلی الهند، ج ۷، ص ۱۳۷

۲. محمود الحسن عارف، تذکرة قاضی ثناء الله پانی پتی، مطبع طیّبة پرنٹر لاهور، سنة ۱۹۹۵م

۳. صدیق حسن خان، قنوجی، نواب، اتحاف النبلاء والمتقین بأحیاء مأثر الفقهاء والمحدثین، ص ۲۴۰، مطبع نظامی کانپوره ۱۸۷۱

۴. تذکرہ علماء ھند، تحقیق وترجمہ محمد ایّوب قادری، ص۱۴۴، کراچی ۱۹۱۹م
۵. نزھۃ الخواطر ج ۷ ص ۱۱۹
۶. المصدر السابق، س ۱۲۹
۷. تذکرہ قاضی ثناء اللہ بانی بتی، ص ۱۵۴
۸. اشتیاق حسن قریشی، برصغیر پاک وھند کی ملّت اسلامیہ، کراچی، ۱۹۷۱، ص۸
۹. عبدالرزاق، قریشی (مرتب) مکاتیب مرزا مظھر جانجاناں الشھید، بمبئ، ۱۹۶۶، ص ۴۸م ۲۵
۱۰. برصغیر پاک وھند کی ملت اسلامیہ، ص ۲۳۱
۱۱. محمد ثناء اللہ بانی بتی، قاضي، التفسير المظھری، ندوۃ المصنفین دھلی الطبعۃ الثانیۃ ۱۲۷۲، فضل في الجھاد ج ۱ ص ۲۵۷ . ۲۵۹
۱۲. ڈاکٹر سالم قدوائی ھندوستان مفسرین اور انکی عربی تفسیریں ، برقی پریس دھلی، ۱۳۵۵، ص ۱۰۸
۱۳. التفسیر المظھری ، ج ۸ ص ۳۸۲
۱۴. انظر بالتفصیل التفسیر المظھری ، ج ۱، ص ۱۰، ج ۲ ص ۱۶، ج ۹، ص ۸۴
۱۵. التفسیر المظھری ، ج ۱ ص ۱۰
۱۶. التفسیر المظھری ، ج ۱ ص ۱۱۸
۱۷. التفسیر المظھری ، ج ۲ ص ۳۸ ، ۹۳ ، ج ۳ ص ۱۹ ج ۴ ص ۲۶۴ م ج ۵ ص۳۵ ، ۳۶
۱۸. التفسیر المظھری ، ج ۲ ص ۹
۱۹. التفسیر المظھری ، ج ۲ ص ۱۸
۲۰. التفسیر المظھری ، ج ۲ ص ۹ ، ۱۰
۲۱. التفسیر المظھری للتفصیل ، ج ۱ ص ۵ ،ج ۲ ص ۲۴۸ ، ج ۲ ص ۱۹۹ ج ۴ ص ۱۰۴ ج ۱۰ ص ۱۰۷ ،ج ۲ ص ۱۹۱
۲۲. التفسیر المظھری ج ۳ ص۷۳
۲۳. التفسیر المظھری ،ج ۱ ص ۱۰۲، انظر للتفصیل، النمل:۲۰ سورۃ ص:۱۱، الصافات:۲۳، المائدۃ:۱۲، آل عمران:۹۳، ھود:۳۸، المائدۃ:۱۲
۲۴. ج۱ ص۱۱۰، ج ۲ ص۵۲۴

۲۵. ج ۱ ص ۵۱ ۲۶. ج۶ ص ۳۸۹
۲۷. ج ۱ ص ۲۹۲ ۲۸. ج ۱ ص ۲۹۶
۲۹. ج ۱ ص ۴۳۳ ۳۰. ج ۱ ص ۱۰۶. ۱۰۷
۳۱. ج۶ ص ۳۳، ۳۴ ۳۲. ج۴ ص ۱۹
۳۳. ج ۸ ص ۵ ۳۴. ج۶ ص ۱۱۸
۳۵. ج۶ ص ۱۱۸ ۳۶. ج۶ ص ۱۱۸
۳۷. ج ۱ ص ۳۱ ۳۸. ج۱۰ ص ۸۴، ۱۴۱، ۱۶۰
۳۹. ج ۱ ص ۵۶، ۲۴۹ ۴۰. ج ۱ ص ۴۴، ۱۵۳
۴۱. ج ۸ ص ۳۶۱، ج ۳ ص ۳۲۶ ۴۲. ج ۱ ص ۳۵۱، ج ۳ ص ۳۱۳
۴۳. ج ۱ ص ۴۴۱، ج ۸ ص ۳۱۹ ۴۴. ج۱۰ ص ۴۷۷
۴۵. ج۵ ص ۴۷۷. ۴۷۸ ۴۶. المصدر السابق
۴۷. ج ۶ ص ۵۵۲، ج ۸ ص ۳۵۲ ۴۸. ج ۵ ص ۳۰
۴۹. ج۶ ص ۳۰، ج ۱۰ ص ۱۳۷ ۵۰. ج۸ ص ۱۰۶، ج ۸ ص ۱۰۷
۵۱. ج ۴ ص ۳۱۳ ۵۲. ج ۴ ص ۳۱۳
۵۳. ج ۴ ص ۱۶۵ ۵۴. ج ۸ ص ۲۰۳
۵۵. ج ۸ ص ۲۹۲ ۵۶. ج ۱ ص ۷
۵۷. ج ۱ ص ۲۰ ۵۸. ج ۵ ص ۹۰. ۹۱
۵۹. کلمات طیّبات، ابو الخیر محمد بن احمد مراد آبادی مجتبای، دهلی، ۱۳۰۹ھ ص ۱۳۳. ۱۵۶
۶۰. ج ۱ ص ۲۵۲ ۶۱. ج ۴ ص ۲۷۹
۶۲. ج ۷ ص ۸۹ ۶۳. ج ۷ ص ۱۲۴
۶۴. ج ۷ ص ۸۹ ۶۵. ج ۵ ص ۶۹. ۷۰
۶۶. ج ۱ ص ۱۱ ۶۷. ج ۱ ص ۲۸
۶۸. ج ۶ ص ۷۰. ۷۹ ۶۹. مقامات مظهری ص ۷۵گ
۷۰. وقائع علم وعمل، عبدالقادر آفاق ترجمه معین الدین افضل، ص ۱۷۹